

1. مدخل مفاهيمي

كثيرا ما يحتار الدارس والباحث المبتدئ عند تناوله للتيارات الفكرية بين مفاهيم متداخلة تظهر له انها تدرس نفس الموضوع، فيجد نفسه أمام مراجع تتحدث عن التيار العقلاني، ومراجع أخرى عن النظرية العقلانية، وأخرى تخوض في المدرسة العقلانية وهلم ذوايك ... ومن هنا السؤال حول ماهية المفهوم الدقيق للتيار الفكري؟ وعن اختلافه وتداخله مع المفاهيم الأخرى في المجال؟

يتطرق هذا العنوان الى شرح وبيان مفهوم التيار الفكري وكذا أهم المفاهيم المفتاحية في مقياس تيارات فكرية كبرى، بحيث يتمكن الطالب بعدها من معرفة المقصود بمفهوم التيار الفكري، وكذا المفاهيم المتداخلة معه في هذا المجال من قبيل النظرية، المذهب، المدرسة ... بما يسمح له بالمقارنة والوصول الى تعريف واضح عن طبيعة المقصود بالتيار الفكري :

أولا. النظرية:

هي مجموعة من المفاهيم والأفكار والمفاهيم المجردة التي تطبق على مجال معين. النظرية أيضا تمثل مجموعة منظمة من المبادئ، والمفاهيم المجردة، والقوانين العلمية تهدف إلى تفسير الظواهر أو الحقائق في مجال معين بشكل عقلائي. يختلف عن الممارسة في طابعه التأملي والتأميلي والفكري، وغالبا ما يستخدم كأساس للبحث والنمذجة.

النظرية كذلك هي تصور منهجي منظم نسقيا ومرتبطة من ثم في صورته ببعض
القرارات أو المواضع العلمية التي لا تنتمي الى المعنى العام¹.

ثانيا. المدرسة :

القصد بالمدرسة هنا ليس المؤسسة بل المدرسة الفكرية ، حيث تشير المدرسة الفكرية
إلى مجموعة من الأشخاص الذين يتشاركون آراء متشابهة أو وجهة نظر مماثلة في مجال
معين، بحيث يتشاركون في معتقداتهم، وينطلقون من منطلقات نظرية متشابهة
ويدافعون عن تصورات وممارسات معينة، ويمكن ان تتجسد المدرسة الفكرية في شكل
مدرسة سياسية ، اجتماعية، ثقافية، اقتصادية، فنية ، أدبية ، فلسفية أو غيرها...
حيث يمكن ان تضم المدرسة مجموعة من المفكرين أو النظريات التي تشترك في التقاليد
الفكرية، والرأي والنظرة إلى الامور تصورا وتمثلا.

ثالثا. المذهب :

المذهب مفهوم أوسع من المدرسة والنظرية، بحيث يمكن ان يضم المذهب بعض
المدارس وعديد النظريات التي تجتمع تحت لواءه. فكلمة مذهب مأخوذة من فعل ذهب
يذهب. مفردها مذهب وجمعها مذاهب، وهو ما يذهب الفرد أو الجماعة أو الامة او ينزع
او يميل الى تبنيه والاعتناع به. والمذهب عند المفكرين والفلاسفة هو مجموعة هو جملة
من القواعد والنظريات والقوانين والمفاهيم الفكرية والفلسفية التي تربطها وحدة
نسقية منطقية بحيث أصبحت كلا ومتكاملا يكون نظاما فكريا متماسكا. والمذهب

¹ أندريه لالاند، معجم المصطلحات الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2: 2000، ص1454

أشمل من النظرية بل هو كحد أدنى مجموعة من النظريات المرتبطة فيما بينها ارتباطاً عضوياً متلازماً².

المذهب هو مجموعة منظمة من الأفكار والمبادئ والنظريات أو التعاليم التي تشكل نظاماً فكرياً في مجال معين (ديني، سياسي، فلسفي، قانوني، إلخ)، ويعمل كأساس للتفسير أو السلوك.

رابعاً. التيار:

الحديث هنا عن التيار الفكري ، لأن التيار يمكن ان يقصد به "تيار الهواء" أو "تيار الماء" أو "تيار الكهرباء" وغيرها، وهو في هذا السياق يمثل حركة أو تدفق مستمر لشيء ما في اتجاه معين. يُستخدم المصطلح غالباً لوصف تدفق المياه (التيار المائي) أو الهواء (التيار الهوائي). في السياق الكهربائي، هو تدفق الشحنات السالبة أو الموجبة عبر موصل، ويُقاس بالأمبير، ويعد أساس تشغيل الأجهزة الكهربائية.

أما عن التيار الفكري فهو مجموعة من الأفكار، المبادئ، والمعتقدات المنسجمة التي يتبناها أفراد أو جماعات، وتشكل رؤية خاصة (فلسفية، سياسية، أو اجتماعية) تجاه الواقع. والتيار الفكري أوسع من النظرية ومن المذهب ومن المدرسة، فالتيار الفكري الواحد يمكن أن يضم عديد المدارس والنظريات . فنجد مثلاً التيار المثالي يضم عديد النظريات والمداهب من قبيل المثالية الموضوعية والمثالية الذاتية والمثالية والمتعالية وغيرها.

² جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، ص 361

خامسا. النسق:

الحديث هنا عن النسق الفكري ، وهو لغويا جاء ما كان على نظامٍ واحدٍ من كلِّ شيءٍ. حيث يقال: جاء القومُ نَسَقًا. وَزُرِعَتِ الأشجارُ نَسَقًا. ويقال كذلك : شَعَرُ نَسَقٌ: مُسْتَوِي النَّبْتَةِ حَسَنُ التَّرْكِيبِ. وَدُرُّ نَسَقٌ: مُنْتَظِمٌ. ويقال أيضا : كَلَامٌ نَسَقٌ: مُتَلَانِمٌ على نِظَامٍ واحدٍ.

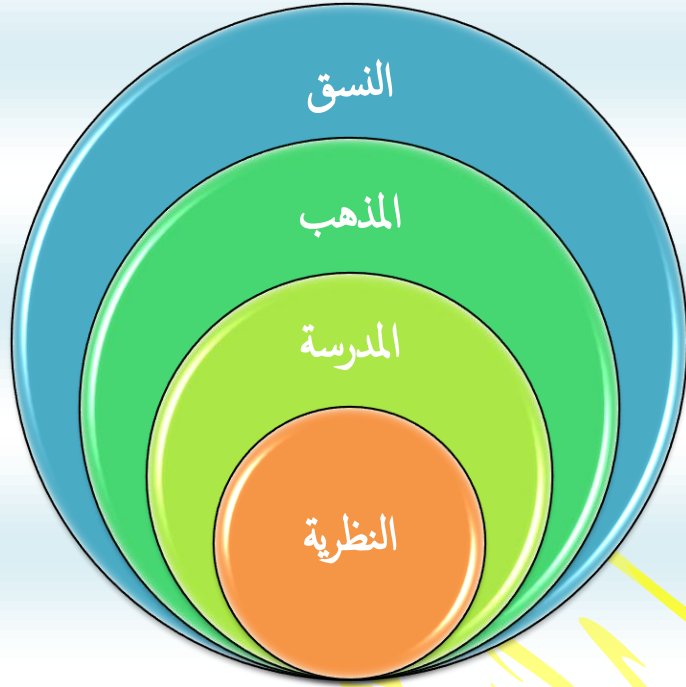
النسق هو نظام مترابط ومنتظم من العناصر (دلالية، اجتماعية، أو مادية) التي تتفاعل لتشكل بنية واحدة، حيث لا يمكن فهم أي جزء بمعزل عن الكل. لغوياً، يعني الترتيب والتنظيم، واصطلاحاً يشير إلى الأنساق المضمرة (ثقافية) أو الاجتماعية التي تحدد سلوكيات الجماعة.

النسق مرادف للبنية، النظام، والترتيب.

"فكلمة نسق او بالاحرى كلمة مذهبلها معنى خاص في الفلسفة ... ويمكننا تحديد معنى النسق في الفلسفة على أنه مجموعة نظريات مترابطة متشابكة متكاملة تؤلف كلا عضويها يفسر بعض أجزاءها البعض الآخر.

وعرفت الموسوعة الفلسفية الروسية النسق بأنه لفظة يونانية تعني "الكل المركب من جملة الاجزاء ... وورد في معجم الألفاظ الأجنبية في اللغة الروسية أن النسق هو العناصر المرتبطة مع بعضها بعضاً تشكل وحدة محددة، أو هو كيان فكري مستقل من العلاقات الداخلية"³.

³ سليمان أحمد الظاهر، مفهوم النسق في الفلسفة (النسق: الإشكالات والخصائص)، مجلة جامعة دمشق-المجلد 30 -، 2014، ص370



نظريات

2. المراحل الكبرى لتاريخ الفلسفة (الكلاسيكية،

القروسطية، الحديثة، المعاصرة)

✓ الفلسفة الكلاسيكية:

الفلسفة الكلاسيكية يقصد بها الفلسفة اليونانية القديمة ، وفيها نجد أشهر النظريات والمدارس الفلسفية ، حيث تتضمن تيارات الفلسفة اليونانية : المذهب العقلي – المذهب الانساني – مذهب الوحدة مذهب التعدد – مذهب السكون مذهب الحركة – مذهب اللذة مذهب التزهد- الرواقية والابيقورية - مدرسة الشكاك ...

حيث تتركز بشكل أساسي حول أعمال سقراط و أفلاطون وأرسطو، الذين وضعوا أسس المنطق، الأخلاق، الميتافيزيقا، والسياسة

✓ الفلسفة القروسطية:

تبدأ الفلسفة الوسيطية مع بداية القرون الوسطى، أي مع سقوط روما بلغة المؤرخين، فكان شعارها جدل الوحي والعقل ، وبحث علاقة الدين بالفلسفة . ففي عصر صعود الديانات الكبرى التوحيدية (اليهودية، المسيحية، الاسلام)، أصبح الدين بحمولته الميتافيزيقية الكبرى يفسر كل شيء عن الحياة والوجود وما يتبعها، وهو ما قاد ضرورة الى تداخله مع الفلسفة العقلية القديمة، فأصبح السؤالين الرئيسيين هنا: هل يتوافق العقل مع الوحي أم لا؟ وهل يسبق الوحي أم العقل؟

في هذه المرحلة كان الدين يأتي أولاً قبل التفكير العقلي، حيث تمثل هذه المرحلة مرحلة أفول العقلانية اليونانية، ويسمى الغربيون بعصور الظلام، بينما الأمر ليس كذلك بالنسبة للمدى العربي الاسلامي. وعليه تنقسم الفلسفة الوسيطية بشكل رئيسي الى فلسفة مسيحية ، وفلسفة اسلامية.

✓ الفلسفة الحديثة :

نشأت في أوروبا (القرن 17 - بداية الـ 20)، بعد عصر النهضة وما شهدته من عودة للنزعة الانسانية واسترجاع للموروث اليوناني، الذي ترجمه الفلاسفة المسلمون المشاؤون. تميزت هذه المرحلة بالقطيعة مع التقليد المدرسي للفلسفة القروسطية، والانتقال الى التركيز على العقل والمنهج العلمي، واعلاء قيم الحرية والفردية. متأثرة بمختلف تطورات العلوم الجديدة في ذلك الزمان. ومثلت العصر الذهبي للفلسفة بامتياز ، فكان من أبرز العقلانيين ديكارت ولايبنتز وسبينوزا روسو وفولتير وهيغل، ومن أبرز الماديين هوبز ولوك وهيوم وماركس.

تمثل العقلانية أبرز سمات الفلسفة الحديثة ، وفي هذا السياق يلقب رونييه ديكارت فيلسوف العقلانية الأبرز، ب أبو الفلسفة الحديثة.

✓ الفلسفة المعاصرة :

هي فلسفة القرن العشرين وما يليه ، وتميزت بصعود تيار ما بعد الحداثة ، وهو ما يمثل في ان نقدا للحداثة واستمرارا لها ، بحيث تسمى أيضا بالحداثة الفائقة. وتجد الفلسفة المعاصرة جذورها في فلسفات القرن التاسع عشر وخصوصا فلسفة شوبنهاور ونيتشه،

التي تنتقد العقلانية والنزعة العلموية التي انتجتها الحداثة. وتأثرت الفلسفة المعاصرة كذلك بالحروب العالمية ونواتجها، وظهرت فيها عديد المذاهب والتيارات أبرزها الوجودية ، البراغماتية ، الظواهرية ، العبثية وغيرها .

تتميز الفلسفة المعاصرة بغياب النسقية والنظام الذي كان تتميز به الفلسفة الحديثة ، بحيث تمثل مرحلة نهاية السرديات الصغرى وصعود السرديات الصغرى. تميزت الفلسفة المعاصرة كذلك بصعود النزعة الفردانية ، وفلسفة العلوم ، وفلسفة العدالة.

مما يجدر التنويه به أن تاريخ الفلسفة الحديث يمكن تقسيمه اختصارا الى مرحلتين: الأولى هي فلسفة الحداثة، والتي تمثل انقلابا كوبرنيكيا، بنقلها مركز الاهتمام من "العقل اللاهوتي" الى "العقل العلمي" ، من "عالم الكتاب" الى "كتاب العالم" ، من التفسيرات الدينية والغيبية التي يحكمها منطق المعجزة والتي هيمنت على أنظمة التفكير في القرون الوسطى ، الى التفسيرات العقلانية والعلمية التي يحكمها منطق السببية، وهو ما عني "نزع التفسير السحري عن العالم" ، مما قاد الى اجتراف ثورة فكرية وعلمية وصناعية وسياسية واقتصادية قادت اوربا الى اعتلاء قمة الحضارة الانسانية لاحقا. فقد كانت الحداثة وما انتجته من تيارات فكرية ومذاهب ونظريات فلسفية على رأسها العقلانية والتجريبية والوضعية والنفعية والمثالية الذاتية والمثالية الموضوعية وغيرها ، عنوان نهضة العقل الأوروبي الحديث.

ثم تأتي المرحلة الثانية، والتي تكنى تارة بالفلسفة المعاصرة، أو تسمى بما بعد الحداثة ، أو الحداثة الفائقة وغيرها ... ، وهي تمثل بما تحمله من تيارات فكرية ومذاهب فلسفية، استمرار وتطورا للحداثة ونقدها لها في نفس الوقت. فنجد علاقة وطيدة بين ما انتجته

من مذاهب وتيارات من قبيل البراغماتية والوضعية المنطقية و البنيوية والوجودية،
وبين التيارات والمذاهب الحديثة، فهي اما استمرار وتطوير لها، او نقد وخروج عليها.

تجاهل
العلماء